اليأس.. ذلك العدو الخفي

هل حاولت ذات مرة وشاركت في مسابقة عامة، وفزت بجائزة كانت عبارة عن تذكرة تمسحها لتقرأ نوع جائزتك، فوجدت عبارة "**حاول مرة أخرى**"؟ إنها جملة بقدر ما كانت مخيبة للآمال التي تكون يومها قد وضعتها لنفسك، فإنها بالقدر نفسه، تدعوك إلى قيمة أخرى حياتية لا بد أن نحفظها في حياتنا، ليس للاستخدام في مجال الحظ والجوائز، وإنما في تحقيق أهدافنا الحياتية المتنوعة.. تلك الأهداف التي تنتابنا حالات من اليأس بسبب عدم التوفيق في تحقيقها وإنجازها بالشكل أو الصورة المطلوبة المرغوبة.

تأتي أهمية تلك العبارة، لا لكي تبث بنفسك المزيد من الإحباطات، ولكن لكي تكون شرارة للبدء في عمل جديد، ولتوحي للنفس بعدم اليأس، فإن اليأس عدو خطير خفي، يهدم أكثر مما يبني، فلا تيأس أبداً، ولا تدع ثغرة يمكن أن ينفذ منها اليأس إلى نفسك، بل حاول المرة تلو الأخرى في تحقيق ما تصبو إليه.. هذه خلاصة الموضوع نقولها من بداية المقال، ولكن لا يمنع أن تقرأ تفاصيل الموضوع إن شئت..

نبي الله الكريم نوح عليه السلام، يمكن أن نعتبره أبرز مثال بشري حين نطالب بعضنا البعض بعدم اليأس، وأهمية بذل كل الأسباب الممكنة لتحقيق الهدف النبيل.. فقد جلس نوح عليه السلام يدعو قومه أكثر من تسعة قرون.. وليس تسعة أعوام أو أيام، ومع ذلك لم يؤمن بدعوته أكثر من خمسة عشر إنساناً طوال تلك الفترة الطويلة!

رسولنا الكريم عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، نموذج جميل في هذا الموضوع، فهو ﷺ لم ييأس من دعوة الناس كذلك إلى الإسلام، بعد أن واجهه عليه القوم في مكة بالعند والسباب والأذى، فذهب إلى قبيلة هنا وقبيلة هناك، فلعله يجد آذاناً تصغي، وعقولاً تعي، لكنه لم يجد سوى آذاناً صمّا، وقلوباً غلفا.. فهل أصابه اليأس؟ بالطبع لم ييأس، فكان ما كان من أمر الهجرة إلى المدينة، فربما أن الجغرافيا تكون أحد أسباب عدم التوفيق، فكان الأمر كذلك، وجاء العون والنصر من بعد تغيير الموقع، وكان من الأنصار الكرام.

العالم الأميركي المعروف أديسون، مما قيل عن محاولاته وعدم يأسه، أنه جرب تسعة وتسعين اختباراً لأجل اختراع مصباح كهربائي، فكان في كل مرة يفشل، حتى كانت المحاولة رقم مائة، التي نجحت من بعد أن درس كل أسباب الفشل السابقة، بل والأهم من ذلك أنه حاول ولم ييأس حتى توصل إلى الحل الصحيح، فكان المصباح الكهربائي.. ولو أنه استسلم لليأس والفشل من المحاولة الأولى أو حتى العاشرة، لم يكن لينال شرف هذا الاختراع الخالد.

اليأس مشكلة كثيرين منا نتورط فيها منذ المحاولات الأولى في أي عمل، وللأسف أن البيئة المحيطة أحياناً كثيرة تساعد على بث روح الإحباط واليأس، فلا تجد عوناً ومعيناً وباعثاً على الاستمرار، إذ ما إن تفشل في عمل ما حتى تبدأ سهام الشماتة تنهال عليك من كل حدب وصوب، حتى تكاد تصل إلى أن تكره نفسك، وتكره ما أنت تقوم به أو ما تريد انجازه.

لهذا، وإعادة لخلاصة الموضوع، أقول: حاول أن تكون أنت من يدعم نفسه ويشجعها على المضي قدماً في طريق الأنبياء والمرسلين والعظام من البشر.. لا تيأس ولا تركن إلى ايحاءات النفس السلبية أحياناً الداعية إلى الركون والاستسلام في مدرسة الحياة، فلو أن كل أولئك استسلموا، لما كان هناك دين أو فكرة جميلة أو اختراع صالح للبلاد والعباد.. ولنا في القرآن الكريم دفعة معنوية في هذا الأمر نجدها في قوله تعالى : **"ولا تيأسوا من رَوْحِ الله إنه لا ييأسُ من رَوْحِ الله إلا القوم الكافرون" [يوسف: 87].**